المرأة والعسكرية

لا حديث اليوم للمرأة المسيحية في المملكة العثمانية الا العسكرية . اذ لا شاغل لافكارها اهمّ منها ولا موثر بعواطفها اشدّ وابلغ . وهي المرّة الاولى التي يتجند فيها زوجها وابنها واخوها ويتعاملون اصول الحرب استعداداً للمدافعة عن الوطن والامة عند اللزوم اسوة باخوانهم ابناء المسلمين . بعد ان مرّ عليهم اجيال عديدة حظر عليهم فيها الانتظام بهذا السلك لاسباب سياسية زالت منذ اعلان الدستور حتى رسخ في بعض الاذهان ان المسيحيين غير اهل للخدمة العسكرية وانها ليست من واجباتهم الوطنية ولا قدرة لهم عليها بالنظر لما آلفوه من عدم التعرض لمتاعبها ولما فاتهم من مفاخرها او لما لم يذوقوه من ملذاتها وبعبارة ثانية لما لم يتمتعوا به من منافعها وحسناتها وانهم مستثنون منها بحكم العادة . ومن الظلم تغيير ما لم يتعوده الاجداد ولا نشأ عليه الاحفاد . على ان كل امم الارض تنظم جنديتها من ابنائها كافة بلا استثناء ولا تميز حتى اعرقها في الرفاهة والدلال فلماذا كل هذا الخوف المستولي على بعضكن يا سيدات ؟

مرّ على المرأة ادوار كانت تتشجع فيها على اقتحام الشدائد وتتجرأ في الاقدام على المصاعب فتخوض المعامع وتكافح الابطال سائرة في مقدمة الجيش تحسه وتنشطه وتحرضه على الاستبسال بالقدوة ايضاً لا بالكلام فقط بدليل ما يروي لنا التاريخ . فالمرأتان اليونانية والرومانية كانتا ذات تاثير عظيم في الحرب ومثلهما المرأة العربية في صدر الاسلام . والاسرائيليات ايضاً نشأت منهن نابغات جريبات كنّ فخراً لابطالهن بالقيادة والهجوم . والتركيات اظهرن من الشجاعة بمعاونة رجالهن على تأسيس الملك وتاليف الدولة وصيانتها ما يذكر بالفخر حتى ان بعض

معاصراتنا منهن المترفات المتعلمات لم يخفن من فتنة نيسان التي ادت الى خلع ذاك السلطان خوفاً بحملهن على تنشيط همم ذوبين الاحرار الدستوريين بل نشطنهم ما امكن شأن شقيقاتهن الارمنيات . كانت المرأة الاسبرطية عندما تناول ولدها السيف ويراه قصيراً تقول له تقدم خطوة الى الامام فيطول . وكانت المرأة البدوية ولا تزال عوناً لرجلها في رد الغارة عن القبيلة والمحافظة على الاستقلال

ما نشأت امة ولا تألفت مملكة ولا ارتج حمية قوم للاصلاح فثاروا ثورة عظيمة مكتنهم من قلب المستبدين وتوطيد اركان الشورى الا وكان للمرأة يد في العمل بجانب يد الرجل خصوصاً في العسكرية . والام الراقية المثقفة مع كل ابنائها في النعم واغراقها في الترف لاتخاف من الجندية ولا تحاول تخويف الشبان منها بالنظر لما تعرفه من انها واجب وطني قدسته شعوب الارض قديمها وحديثها حتى صار الشاب الاوربي والاميركي في بعض الممالك عندما يبلغ السن المناسب للعسكرية يأتي بنفسه الى الكتبة ليتعلم فنونها استعداداً لدفع الطواريء حرصاً على مقام الدولة التي ظلّ رايتها وذرءاً للخطار التي ترصدها وجلباً للمنافع اليها . وقد بلغ من جرأة المرأة الاميركية ما برهنه روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة بقوله في خطاب له في مؤتمر النساء في واشنطن — كما ان الأم تتبرأ من جندي جبان تعزّ عليه نفسه في سبيل شراء فخر البلاد وشرفها كذلك تتبرأ من المرأة الخائنة الجبانة التي لاتدفع بسلاح تربيتها عن عقول اولادها

فامتنا لا تريد من المرأة قائد الجيش كما كانت دبورة تقود جند اسرائيل ولامثل جان دارك عندما تولت قيادة جيش الفرنسيس ولا تطلب من بنات جنسها سواعد متينة لحمل البنادق ولا اكتافاً قوية لجرّ المدافع فان للشبان من متانة سواعدهم ما يغنيهم عن لطف سواعدهن ومن الصدور الواسعة

ما لا تشبه به صدور ربات المشد وعددهم كاف لصد هجمات الطامعين بالبلاد

وانما تريد من المرأة ان تكون مساعداً ادبياً في تنظيم الجيش وتأليفه من كل الطوائف ليماثل الجيوش العظيمة بالقوة والمدد والانتظام وذلك بعدم التذمر من الخدمة العسكرية امام الشبان ولو تملك منها الخوف واشتد عليها الوجل وعدم تحويفهم منها وتقبيحها في عيونهم وتبغيضهم بها بل بتكرار ذكرها امامهم بالارتياح والتجرؤ، على سمع موضوعها والاسهاب في البحث فيه وتشبيعهم عليها وتجميلها لهم وتحبيبها اليهم وترغيبهم فيها واعداد الاحداث لها من اليوم لئلا يصيبهم في شبابهم ما اصاب بعض شبابنا بالنسبة لعدم تأهيلهم لها من قبل لا بالفكر ولا بالقول ولا بالعمل وهكذا تقوم بالواجب الوطني نحو امتها وبلادها وتخدم قومها وتنفعهم كما ينبغي في مثل هذه الظروف على ان تتغلب على عواطفها وتقسي قلبها جهدها

لان الخدمة العسكرية حق يتقاضانا اياه الوطن وتقتضيه مصلحة الامة ويستلزمه استقلالها ما زنا في زمن تتنازع فيه الامم على الاشبار من الارض وتشيد بينها الاسوار للتباعد بالمصالح والغايات ويتحمد الاقوياء استعباد الضعفاء والاشرار التمكن من الاخيار وما زال الامن مختلا والدستور عرضة لانقضاض المستبدين وتنازع البقاء ناموساً قاسياً لا يشفق ولا يرحم والتزاحم على الرزق شديداً قوياً . فتكون اذا واجباً وطنياً لا بد منه ولا غنى عنه . والعقوق الخائن الجبان من يهرب منها ولا يراعي مصلحة امته وبلاده

حضرت الخنساء الشاعرة الشهيرة معركة القادسية سنة ١٦ للهجرة وكان فيها اولادها الاربعة فاوصتهم قبل القتال بما شجعتهم به فلما بدأ العراك اخذوا يكرون ابطالاً صناديد متربين بما علمتهم اياه فاتفق ان قتلوا كلهم مستبسلين فلما بلغ امهم الخبر قالت مع رقة شعورها ودقة احساسها المشهورين — الحمد لله الذي